

الفروق الفردية بين تنوع التدريس و تفريد التعليم

د.فاطمة رمضان صاكال - أ. عبدالسلام الشيباني خليفة - كلية التربية الزاوية
جامعة الزاوية

المقدمة :

يقول الله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (1)

فالفروق الفردية ظاهرة عامة في جميع الكائنات العضوية ، وهي سنة من سنن الله في خلقه ؛ فأفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم ، فلا يوجد فردان متشابهان في استجابة كل منهما لموقف ما ، وهذا الاختلاف والتمايز بين الأفراد أعطى الحياة معنى ، وجعل للفروق الفردية أهمية في تحديد وظائف الأفراد ، وهذا يعني أنه لو تساوى جميع الأفراد في نسبة الذكاء مثلاً فلن يصبح الذكاء حينذاك صفة تميز فرداً عن آخرٍ وتعد ظاهرة الفروق الفردية من أهم حقائق الوجود الإنساني التي أوجدها الله في خلقه حيث يختلف الأفراد في مستوياتهم العقلية ، فمنهم العبقري والذكي جدا والذكي ومتوسط الذكاء ومنخفض الذكاء ، هذا فضلا عن تمايز مواهبهم وسماتهم المختلفة وخصائصهم ، فقد أشار إفلاطون في كتابه المدينة الفاضلة إلى أنه لم يولد اثنان متشابهان في المواهب الطبيعية ، وقسم الناس إلى فئات تبعا للاختلافات بينهم ، كما اهتم أرسطو بالفروق بين الأجناس البشرية وبين الجنسين من الناحية العقلية والخلقية ، في حين شرح الفرابي تطورات الكائنات وتدرجها ، وإن الناس يختلفون فيما بينهم في قدره اللغوي ، فالفروق الفردية بهذا المعنى ركيزة أساسية ومهمة في تحديد المستويات العقلية والأدائية الراهنة والمستقبلية للمتعلمين ، ولذلك فقد أصبحت الاختبارات العقلية وسيلة مهمة تهدف إلى دراسة احتمالات النجاح أو الفشل العقلي في فترة زمنية لاحقة ، وقد ظهر العديد من الدراسات السيكولوجية التي أوضحت أن هناك فروقا بين الأفراد في العمر الواحد في نواح كثيرة كالذكاء والقدرة على التحصيل والفهم والإدراك والاختلافات في الميول والاتجاهات والاهتمامات ودلت البحوث على أن أفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم. فالتعليم يجب أن يقابل متطلبات المتعلمين وفقا لحاجاتهم الفردية ، حيث إن الكتب المقررة والأنشطة توضع عادة للمتوسط من المتعلمين في ضوء معايير خارجية يراها المسؤولون مناسبة لمرحلة معينة ويتم إغفال ما بين التلاميذ من فروق فردية.

مشكلة البحث :

يواجه المعلمون مشكلة الفروق الفردية في معظم الفصول وفي جميع السنوات الدراسية ، وكما كانت الفروق في السلوك والقدرات العقلية والقدرات الإنفعالية، فإن المشكلة المدرسية الناشئة عنها ظاهرة طبيعية، ويقدم علم النفس الفارق أو الفردي أساليب وطرق تعليمية لكيفية التعامل مع مثل هذه الظواهر لا بإزالتها ، لأن ذلك يكاد يكون مستحيلاً ، وإنما بمحاولة تقليص مدى أثارها بين الفئات المتميزة بتوجيه رعاية

وعناية خاصة للفئة الأضعف لعلها حتى تقترب ولو قليلاً من الفئة التالية لها من حيث القدرة على الأداء الأفضل، فقد تكون العقبات التي تحول دون صعود بعض عناصر الفئة الأولى إلى الفئة الأعلى عقبات بيئية يمكن التغلب عليها أو التقليل من تأثيرها على الفروق بين الفئتين ، لذلك ابتكر علماء النفس نماذج تدريبية تعتمد على نظريات التعلم المتعددة ، ولذلك لا يتوقع أن تؤدي طريقة التدريس الواحدة في التعامل مع الطلاب باعتبارهم متشابهين إلى نتائج فعالة. ومن هنا كان لزاماً على كل معلم أن يحاول التعرف على الفروق الفردية بين طلابه فيما يتصل بمختلف خصائصهم النفسية، والفسيولوجية، والعقلية، وغيرها، وأن يأخذ هذه الفروق بعين الاعتبار عندما يقوم بتدريسهم، وقد يجد نفسه مضطراً إلى أن يعلم أكثر من مستوى واحد في الصف الواحد، وعندها يتوجب أن يقسم الصف إلى مجموعات متجانسة، وأن يعلم كل مجموعة منها بطريقة تناسب قدراتها وإمكاناتها والقيام بهذه المهمة بفعالية .

وتشير الدراسات التربوية إلى أن مدى الفروق الفردية يتأثر بعدد من العوامل من أهمها : العمر الزمني ، ومستوى الأداء ، و الممارسة ، والخبرة ، والتدريب ، و النوع .⁽²⁾

فالمعلم لا بد أن يلقى التأهيل والتدريب المناسب باستخدام برامج تأهيل فعالة من أجل إتقان مهارة مراعاة الفروق الفردية الموجودة بين طلبته في الصف الواحد، وكذلك الطرق الفعالة في معالجتها والتقليل من وطأتها، ومع أنه قد يكون من التمني أن يتمكن المعلم من إذابة هذه الفروق من خلال تدريسه، إلا أن هذا الحكم يظل صعب التحقيق ، ومن هنا لا يظل أمام المعلم فرصة ممكنة سوى التعامل مع مستويات هذه الفروق كل منها على حدة، بحيث يقدم لها المادة التعليمية بالشكل الذي يتفق مع قدراتها وإمكاناتها.⁽³⁾

فمن أهم المبادئ التي أصبحت اليوم ركناً أساسياً في التعلم المعاصر، أن التعليم حق لكل المواطنين باختلاف مستوياتهم ومذاهبهم، ومراكزهم الاجتماعية ولذا يدعو بعض المربين إلى إعطاء المتعلم الحرية في تقدير ما يريد أن يتعلمه، وإعطاء الفرص لكل طالب لأن يتقدم في كل مجال من مجالات الدراسة، وفق قدراته الخاصة مما يؤدي إلى إتاحة الظروف النفسية التي تدفعه إلى تعلم أكثر فعالية، لذا يجب أن يكون في صدارة التطور التربوي، التطور في أهداف التربية ذاتها من الحفظ والاستظهار للمعرفة إلى أهداف جديدة تقوم على التعلم المستمر مدى الحياة و ذلك بالأخذ بالتعلم الذاتي لتنمية الاستعدادات وتنمية القدرة على الإبداع ، لأن الكم المعرفي يحتم ضرورة أن تقوم المدرسة بإعداد جيل يستطيع متابعة نمو المعرفة ويأخذ دوره في الإسهام في تطويرها ،ومثل هذا لا يتم إلا باستخدام ممارسات تربوية تؤكد على مبدأ التعلم الذاتي وحق التلميذ في أن يتعلم بالطريقة التي تناسبه ،وذلك لمواجهة التحديات الناجمة عن زيادة كم المعارف الموجودة في هذا العصر.وقد أدت الزيادة السكانية الهائلة التي تشهدها معظم المجتمعات إلى تزايد الإقبال على التعليم، وزيادة أعداد التلاميذ المقبولين في كل مدرسة، وارتفاع كثافة الفصول وبالتالي إلى اتساع الفروق الفردية بين التلاميذ في القدرات والاتجاهات والرغبات وطرق التفكير وأساليب التعلم فكل متعلم قدراته ودوافعه، ونمط تعليمه الخاص الذي لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار عند تنفيذ الخطط التعليمية، ولم ينجح

المعلم بأساليبه وطرائقه التقليدية في مراعاة هذه الفروق التي ازدادت تباينا وتفرعا، مما أدى إلى انخفاض ملحوظ في كفاءة العملية التعليمية، ففي مؤتمر متابعة توصيات التربية الذي عقد في القاهرة عام (2000 م) أشار إلى تدني مستوى التعليم في معظم الدول العربية، وإن انخفاض جودة التعليم في كثير من الدول العربية يرجع أساساً إلى محتوى تعليمي غير مرتبط بحياة الطلبة وقدراتهم وإن طرائق تدريسهم جامدة وتقليدية تركز فقط على الحفظ والاسترجاع وليس على الفهم والإبداع. (4)

وبالتالي أصبحت الحاجة ملحة إلى أساليب جديدة يستطيع المعلم من خلالها تصحيح المسار وتحقيق الأهداف من أجل النمو المتكامل، ويتطلب هذا ضرورة تبني إستراتيجيات حديثة تركز على أساليب التعلم الذاتي وتنوع طرائق التدريس، ولذلك فإن البحث الحالي يتمحور حول

الفروق الفردية بين تنوع التدريس و تفريد التعليم. ويقدم التساؤلات الآتية:

تساؤلات البحث :-

- 1- ما مفهوم الفروق الفردية ؟
- 2- ما دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية في التدريس ؟
- 3- كيف نراعي الفروق الفردية بإستخدام عمليتي تفريد التعليم و تنوع التدريس؟

أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على :

- 1- مفهوم الفروق الفردية .
- 2- دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية في التدريس .
- 3- الفروق الفردية بين تنوع التدريس و تفريد التعليم .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث الحالي في كونه :

- 1- يتناول موضوعاً مهمّاً في العملية التعليمية وهو الفروق الفردية بين التلاميذ في التعلّم وهو الموضوع الذي يهمله الكثير من المعلمين .
- 2 - يبين دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ أثناء عملية التدريس.
- 3 - يبين الحاجة الملحة إلى تطوير طرائق التدريس وأساليبه، لمواكبة التطورات العلمية والتربوية والتكنولوجية التي تراعي مبدأ الفروق الفردية في التدريس .
- 4- التركيز على أهمية تأهيل المعلمين في كليات التربية وتدريبهم على مهارات مراعاة الفروق الفردية في التدريس وذلك بتنوع طرائقه وأساليبه .
- 5- من خلال النتائج يمكن أن تقدم بعض التوصيات لعلها تسهم في مساعدة المعلمين في التغلب على بعض المشكلات التي تترتب على وجود الفروق الفردية داخل الصف الدراسي .

مصطلحات البحث :

1- الفروق الفردية :

من تعريفات الفروق الفردية التي وردت في كتب علم النفس التعريفات التالية :

1- هي اختلاف الأفراد بعضهم عن بعض في خصائصهم الجسمية و في صفاتهم المزاجية وفي قدراتهم العقلية .⁽⁵⁾

2 - هي تلك الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواء كانت تلك الصفة جسمية أم في سلوكه الاجتماعي⁽⁶⁾

2- تفريد التعليم:

أ. عرفة السامرائي وآخرون بأنه :

" تعليم موجه أساساً نحو الفرد ويكون الفرد المتعلم الأساس في تنظيمه وتنفيذه وتقويمه"⁽⁷⁾

ب. عرفة الحيلة ومرعي بأنه :

" تغيير منهجي يهدف إلى الاهتمام بالمتعلم والتركيز عليه في عمليتي التعليم والتعلم وتصميم برامج لمجموعات من الأفراد بحيث يترك أمر تقدمهم إلى قدراتهم الفردية وسرعتهم الذاتية أي تقديم تعليم يراعى ما بين المتعلمين من فروق فردية"⁽⁸⁾

3- تنوع التدريس :

عرفه جابر بأنه " فلسفة تربوية تبنى على أساس أن على المعلم تطويع تدريسه تبعاً للاختلافات بين المتعلمين"⁽⁹⁾

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع و عرض المعلومات ثم وصفها و تحليلها للوصول إلى نتائج يمكن الإستفادة منها و تعميمها .

الإطار النظري للبحث

لتحقيق أهداف البحث يتناول الإطار النظري ثلاثة مباحث رئيسية هي :

المبحث الأول –

مفهوم الفروق الفردية وأهميته :

فطن العرب قديماً إلى معنى الفروق الفردية وأهميتها في بناء المجتمع فقال الأصمعي: "لن يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا". وفتنوا أيضاً إلى أن الحدود الدنيا والعليا لهذه الفروق قد تؤدي إلى الانحراف ولذلك نادوا بالاعتدال في كل شي حتى تستقيم أمور الحياة، ومن أقوالهم المأثورة في هذا المجال قولهم: "خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم العالي"، و أن الفروق الفردية هي "الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة، وقد يضيق مدى هذه الفروق أويتسع وفقاً لتوزيع المستويات المختلفة لكل صفة من الصفات التي تهتم بتحليلها ودراستها"⁽¹⁰⁾

فالفروق الفردية بهذا المعنى مقياس علمي لمدى الاختلاف القائم بين الناس في صفة مشتركة، ويعتمد مفهوم هذه الفكرة على مفهومي التشابه والاختلاف – التشابه النوعي في وجود الصفة والاختلاف الكمي في درجات ومستويات هذا الوجود. وقيل: هي اختلاف الطلاب في مستوياتهم العقلية والمزاجية والبيئية وهي تمثل الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة، وقد عرف الريماوي علم النفس الفروق

بأنه: "العلم الذي يدرس الفروق بين الأفراد وبين الجماعات وداخل الفرد الواحد في السلوك والعمليات العقلية والعمليات الانفعالية لتحديد مداها والدلالة الإحصائية لذلك المدى، وتفسيرها، وضبطها والتنبؤ بمستقبلها ورسم الخطط للتعامل مع الأفراد أو الجماعات بموجبها".⁽¹¹⁾ في حين يعرف بعض المهتمين الفروق الفردية: بأنها الاختلاف في درجة الصفة (جسمية أم نفسية) لدى الأفراد مقياساً بالدرجة المئينية، إذا كان الهدف هو معرفة الفروق بين الأفراد وتحديد مستوى كل فرد في صفة معينة ومقاسة بالدرجة المعيارية، إذا كان الهدف هو معرفة الفروق داخل الفرد في أكثر من صفة، لأنه من خصائص الدرجات المعيارية لأي توزيع تكراري أن متوسطها يساوي صفراً وانحرافها المعياري يساوي واحد.⁽¹²⁾

أنواع الفروق الفردية:

الفروق الفردية إما أن تكون في نوع الصفة، وإما أن تكون في درجة وجود الصفة ، باختلاف الطول عن الوزن اختلاف في نوع الصفة، ولذا لا يخضع مثل هذا الاختلاف إلى القياس لعدم وجود مقياس مشترك بينهما، فالطول يقاس بالأمتار والوزن يقاس بالكيلوجرامات والفروق بين الطول والوزن لا يقاس بالأمتار ولا بالكيلوجرامات ، وقد أثبتت نظرية الفروق الفردية أن الأفراد يختلفون في قدراتهم، لذلك فالبرامج التي توضع لكل التلاميذ أصبحت غير ذات نفع، فالأفراد ليسوا قوالب جامدة تصب فيها العملية التعليمية بمعيار واحد وبقدر واحد فهناك المتفوق والمتخلف وهناك المتوسط ، وكل نوعية من هذه الفئات تتطلب نوعاً وحجماً من الأنشطة والمعارف يختلف عن الآخر، لذلك يجب أن يكون لكل فرد برنامج خاص به يتمشى مع ما يمتلك من قدرات واستعدادات ، ولتعد حدوث ذلك من الناحية العملية فقد لجأ الخبراء إلى التصنيف بهدف تجميع الأفراد أصحاب القدرات المتقاربة في مجامع تنظم لهم برامج خاصة بهم.⁽¹³⁾

العوامل المؤثرة في مدى الفروق الفردية:

تبين من خلال كتابات المتحدثين في هذا المجال إلى أن مدى الفروق الفردية يتأثر بعدد من العوامل هي كالتالي:

1- العمر الزمني: يؤثر العمر الزمني على مدى الفروق الفردية ، فيميل هذا المدى إلى الزيادة مع تزايد السن ، إن مدى الفروق الفردية ذو علاقة طردية مع الزيادة العمرية وتوضح الزيادة مع تزايد السن، وتصبح الفروق الفردية في الخصائص العقلية والانفعالية أكبر، ويصبح التباين في هذه الخصائص في مرحلتي المراهقة والشباب أكبر منه في مرحلة الطفولة .

2- مستوى الأداء: تتأثر درجة الفروق الفردية تبعاً لمستوى أداء الأفراد، فكلما أتمم السلوك نحو التعقيد أو التركيب ازدادت الفروق الفردية بين مستويات أداء الأفراد المختلفين

3- الممارسة والخبرة : تؤثر فترة الممارسة من حيث طول مدتها أو قصرها وكذلك حجم الخبرة على مدى الفروق الفردية فيزيد هذا المدى بزيادة فترة الممارسة نظراً لاختلاف السمات أو الخصائص في بلوغها إلى مرحلة الثبات

4-التدريب: فقد اوضحت نتائج جهود الباحثين إلى أن الفروق الفردية تزداد بنقل التدريب اذ وجد أن معامل التباين يزداد عقب التدريب ، ولذا يمكن القول إن الأفراد يكونون أكثر اختلافاً عقب فترة متساوية من التدريب عنه عند بدئه ، ويرجع ذلك إلى الأثر التراكمي لخبرات الفرد الماضية التي جعلته ماهراً في اداء عمل أو نشاط معين ، وبصفة عامة فإن الفروق الفردية تزداد دائماً في الحالات التي يكون فيها التدريب متواصلًا ، وتصبح أكبر مما كانت بعد انقضاء فترة التدريب، وذلك لأن استجابة الفرد للتدريب وقدرته على الاستفادة منه تتوقف على تدريبه في الماضي (خبرة سابقة) ويكون أكثر استعداداً للاستفادة من التعلم الإضافي لهذا السبب فتصبح الفروق الفردية أكثر وضوحاً⁽¹⁴⁾

• أهمية معرفة الفروق الفردية في مجال التعليم :

للفروق الفردية أهمية كبيرة في مجال التعليم و التعلم فمعرفة الفروق الفردية تساعد

في :

- 1- إعداد المناهج بما يتناسب مع قدرات و استعدادات الطلاب المتباينة.
- 2- إدراج العديد من الأنشطة والبرامج الإضافية التي تتناسب مع تباين مستويات الطلاب مثل رعاية الموهوبين ، النوادي العلمية والثقافية ، المسابقات العلمية ، دروس التقوية التي تلبي احتياجات الطلبة المختلفة.
- 3- المعرفة بتلك الفروق تساعد على توجيه الطلبة لإختيار التخصصات المناسبة لقدراتهم وإستعداداتهم ، وميولهم.
- 4- اختيار أنسب طرائق التدريس والأنشطة والبرامج الإضافية.
- 5- تساعد المعلم أن يقوم بدوره في قيادة العملية التعليمية.

الفروق الفردية و التدريس :

لقد قدم العلماء عدة نماذج تدريسية تأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين ومن هذه النماذج :

- 1_النموذج التقليدي الذي يشتمل على نموذجين فرعيين أساسيين هما:
أ- التعليم الانفرادي الإثرائي .
ب- التعليم الانفرادي التسارعي .
- 2- التعلم الاتقائي والذي يعتمد على نظريات التعلم السلوكية بشكل عام وعلى فكرة بلوم بشكل خاص.
- 3- نموذج التدريس المبرمج والذي يقوم على أساس تطبيق مبادئ التعلم الإجرائي لسكنر (Skinner) على المواقف التدريسية. ونظام التدريس الشخصي الذي قدمه كيلر (Keller) كمحاولة للتخلص من إطار التدريس التقليدي الذي يعتمد على الكتب المقررة وإتباع نظام الإلقاء والمحاضرة بإضافة خصائص أخرى مثل: السير في المقرر وفقاً لقدرات الطلاب، وعدم الاقتصار على كتاب واحد للمقرر الواحد، ومساعدة الطلاب المتفوقين الطلاب المتأخرين في الصف ، ويعتقد كيلر أن نمودجه هذا يضيق فجوة الفروق الفردية في التحصيل بين الطلاب .⁽¹⁵⁾

وعلى ذلك يمكن القول :إن عملية مراعاة الفروق الفردية ضرورية إلى حد كبير ويقع العبء الأكبر فيها على المعلم ,وتساعد هذه العملية على تحقيق عدة أمور أساسية لعملية التعلم والتعليم حيث تساعد على الاهتمام بتعليم جميع المستويات وتؤدي إلى الارتقاء بمخرجات العملية التعليمية وتقليل كم الفاقد التعليمي والوصول بمستويات الطلاب كافة إلى الأهداف المنشودة فضلاً عن مراعاة الحاجات المختلفة للأعداد الكبيرة من الطلاب داخل الصف الواحد .(16)

• الشخصية والفروق الفردية:-

الشخصية هي نقطة البداية في جميع الدراسات النفسية، وهي في نفس الوقت تمثل الهدف الذي تسعى في الوصول إلى فهمه ، وسبيلنا إلى دراسة الشخصية هو نشاطها، أي ما تقوم به من أعمال وما يصدر عنها من استجابات لغوية أو حركية ، وقد تفرع علم النفس وتنوعت ميادينه كنتيجة حتمية لتعدد الشخصية، و تنوع المجالات التي تزاول فيها نشاطها

، وتمتد الفروق الفردية لتشمل جميع جوانب النشاط الذي يصدر عن الشخصية ,وبذلك فإن مفهوم الفروق الفردية يختلف عن مفهوم الشخصية في أن مفهوم الفروق الفردية يستخدم لوصف اي شيء له وحدته وكيانه، ويطلق على كل ما يتفرد به الكائن أو الشيء من خصائص معينة، أما مفهوم الشخصية فيقتصر استخدامه على الإنسان, وتتضمن الشخصية مجموعة الخصائص التي تميز صاحبها عن غيره من جميع النواحي، كما تتضمن الشخصية جانباً إستبطانياً ، ومن جهة أخرى يفيد مفهوم الفروق الفردية لوصف السمات التي تميز فرد دون أن يتضمن ذلك أي تقييم معين، بينما تتناول الشخصية بصورة ضمنية مقارنة المميزات الشخصية بمستويات محددة لدى الأفراد وبذلك فهي تضمن تقييماً لهذه المميزات .(17)

• كيفية مراعاة الفروق الفردية في التعليم :

إن المعلم هو أداة فعالة في أية خطة تعالج الفروق الفردية . ونحن نحتاج إلى معلمين مطلعين على أهمية الفروق الفردية ومتحسين بالحاجات الفردية وقادرين على التكيف مع المنهج الدراسي ، كما نحتاج إلى معلمين يقبلون الفروق الفردية ويعتبرون وجودها أمراً طبيعياً بين الطلاب ، والمشكلة إننا في مدارسنا لم نتهياً بعد للتعامل مع الفروق الفردية، فالطلاب في الصف الواحد كلهم عندنا سواسية في التعامل والتذكر والحفظ والفهم لانفرق بينهم في النواحي الجسمية والعقلية , والصحيح أننا عندما نتعامل بهذه الطريقة ونتبع هذا الأسلوب فنحن مخطئون ، فمن الضروري مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب في العملية التعليمية وذلك باستخدام طرق تدريسية تراعي تلك الفروق وتتكيف مع البيئة المدرسية وتناسب قدرات الطلاب، ومن الطرق التدريسية التي تعطي أهمية للفروق الفردية:

1- طريقة المجموعة ذات القدرة الواحدة :

عمدت بعض المدارس في الدول المتقدمة إلى تقسيم التلاميذ حسب قدراتهم العقلية ، وتقوم هذه الطريقة بوضع تلاميذ متجانسين من الناحية العقلية في شعبة واحدة ، وقد

انتقدت هذه الطريقة بشدة على أساس أن مثل هذا التوزيع قد يؤدي إلى شعور التلاميذ بالتمايز، وبالتالي قد ينعكس ذلك على تصورهم لذاتهم في حياتهم الدراسية والاجتماعية ، ومثل هذا التوزيع يؤدي أيضا إلى حرمان التلاميذ الأقل ذكاء من زملائهم الأذكيا.

2- طريقة التقسيم العشوائي :

يتجه المربون في المدرسة الحديثة إلى تقسيم التلاميذ تقسيما عشوائيا بحيث يضم الصف الواحد تلاميذ مختلفين في الاستعدادات لمواجهة الفروق الفردية وذلك باختيار مناهج و طرائق التدريس التي تناسب استعدادات وقدرات كل تلميذ ، وينتقد أصحاب هذه الطريقة لتوزيع التلاميذ حسب درجات الذكاء أو التحصيل ؛ لأن ذلك لا يضمن التجانس التام الذي يسعى إليه المعلم من تقسيم الطلاب.

3- طريقة التعلم الجمعي :

من مميزات هذه الطريقة أنها بدلا من الاعتماد على معلم واحد في تدريس موضوع واحد في الصف فإنها تستخدم مجموعة من المعلمين يقومون بمسؤولية التخطيط والتنفيذ والتقسيم للمنهج الدراسي ، ويمكن تطبيق هذا المنهج في المدارس الابتدائية والثانوية ، وكل معلم له اختصاص بموضوع معين ويكون من المناسب وجود مرشد تربوي مع المجموعة ، وهذه الطريقة مستخدمة في بعض البلدان الأجنبية وتطبيقها يتطلب وجود معلمين مؤهلين مع ضرورة وجود منهج يتلاءم ومتطلبات هذه الطريقة.

ومن أهم الأساليب التي يمكن للمعلم أن يستخدمها لمراعاة الفروق الفردية:

1- التنوع في أساليب التدريب مثل (الحوار - تمثيل الأدوار - القصة - العصف الذهني - حل المشكلات)

2- تنوع الأمثلة عن المفاهيم والمبادئ المطروحة وإتاحة الفرصة للطلاب للتعليق وإبداء الرأي من خلال الأمثلة الواقعية في بيئاتهم المحلية وخلفياتهم الثقافية.

3- توظيف وسائل متنوعة ومثيرة وفعالة لتفريد التعليم مثل (صحائف الأعمال و البطاقات التعليمية المختلفة ومنها بطاقات التعبير وبطاقات طلاقة التفكير وبطاقات التعليمات وبطاقات التدريب وبطاقات التصحيح .. إلخ

4- التنوع الحركي : يعني التنوع الحركي ببساطة أن يغير المعلم من موقعه في حجرة الدراسة ، فلا يظل طول الوقت جالسا أو واقفا في مكان واحد . وإنما ينبغي عليه أن ينتقل داخل الفصل بالاقتراب من التلاميذ ، أو التحرك بين الصفوف أو الاقتراب من السبورة ، هذه الحركات البسيطة من جانب المعلم ، يمكن أن تغير من الرتابة التي تسود الدرس وتساعد على انتباه الطلاب ، على أنه ينبغي ألا يبالغ المعلم في حركاته أو تحركاته . فيبدو أمام التلاميذ عصبياً مما قد يؤدي إلى تشتت انتباه الطلاب أو يثير أعصابهم.

5- تحويل التفاعل : يعتبر التفاعل داخل الفصل من أهم العوامل التي تؤدي إلى زيادة فاعلية العملية التعليمية ، وهناك ثلاثة أنواع من التفاعل يمكن أن تحدث داخل الفصل : تفاعل المعلم والطلاب ، وتفاعل بين المعلم وطالب ، وتفاعل بين طالب وطالب .

والمعلم الكفاء لا يقتصر على نوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة ، بحيث يكون نمطاً سائداً في تدريسه ، وإنما يحاول أن يستخدمها جميعاً في الدرس الواحد ، وفق ما يتطلبه الموقف ، وهذا الانتقال من نوع من أنواع التفاعل إلى نوع آخر : يؤدي وظيفة مهمة في تنوع

المثيرات ، مما يساعد على انغماس الطلاب في الأنشطة التعليمية ويعمل على جذب انتباههم.

6- الصمت : على الرغم من أن التوقف عن الكلام أو الصمت للحظات كان من الأساليب التي يستخدمها الخطباء منذ القدم للتأثير على سامعيهم وجذب انتباههم ، فإن تأثيره في العملية التعليمية لم يخضع للدراسة والبحث إلا منذ وقت قريب ، ويبدو أن كثيراً من المعلمين ليست لديهم القدرة على استخدام هذا الأسلوب بفعالية في حجرة الدراسة، حتى ولو كان ذلك لبرهة قصيرة . ونتيجة لذلك فإن كثيراً منهم يلجئون إلى الحديث المستمر ، لا كوسيلة للتواصل والتفاهم الفعال بل كحيلة دفاعية للمحافظة على نظام الصف وضبطه . والواقع أن الصمت والتوقف عن الحديث لفترة قصيرة ، يمكن أن يستخدم كأسلوب لتنويع المثيرات مما يساعد على تحسين عملية التعلم والتعليم.

7- التنويع في استخدام الحواس : كلنا يعلم أن إدراكنا للعالم الخارجي يتم عن طريق قنوات خمس للاتصال ، وهي ما تعرف بالحواس الخمس ، وتؤكد البحوث الحديثة في مجال الوسائل التعليمية ، أن قدرة الطلاب على الاستيعاب يمكن أن تزداد بشكل جوهري إذا اعتمدوا في تحصيلهم على استخدام السمع والبصر على نحو متبادل ، ولكن لسوء الحظ ، فإن غالبية ما يحدث داخل فصولنا الدراسية لا يخاطب إلا حاسة واحدة هي حاسة السمع ، فقد وجد أن حديث المعلمين يستغرق حوالي سبعين بالمائة من وقت الدرس ، وهي لغة لفظية تخاطب حاسة السمع فقط .

وهذا يعني أن المعلم لا ينبغي له أن ينسى أن لكل طالب خمس حواس ، وعليه أن يعد درسه بحيث يخاطب كل قنوات الاتصال عند الطالب ، وهنا يمكن أن يحدث تنويع المثيرات عن طريق الانتقال من حاسة لأخرى.

8- التعزيز : إن للمعلم دوراً رئيسياً في خلق الظروف التعليمية الجيدة في حجرة الدراسة ، فشخصية المعلم وسلوكه يجعلان منه نموذجاً للسلوك ، يحتذي به طلابه ، كما أن سيطرة المعلم على عمليات الثواب والعقاب داخل الفصل ، تخلق إطاراً مناسباً تتحقق من خلاله أهداف العملية التعليمية ، ونحن نفضل أن نشير إلى عملية الثواب والعقاب هذه بأنها عملية تعزيز لسلوك الطلاب ، سواء كان هذا التعزيز سلبياً أو إيجابياً .

والتعزيز الموجب ، أي إثابة السلوك المرغوب فيه ، يزيد من احتمال تكرار هذا السلوك ، وكلما كان التعزيز فورياً أي عقب حدوث السلوك مباشرة كلما زاد احتمال حدوث السلوك المعزز تكراره ، لأنه يشعر الطالب بالمتعة والسرور ، كما أن علماء النفس الاجتماعي يضيفون إلى ذلك أن هذا التأثير لا يقف عند سلوك الطالب المعزز وحده ، وإنما يتعدى ذلك إلى التأثير في سلوك رفاقه أيضاً ، ولقد أوضحت نتائج الدراسات أن إثابة أو عقاب سلوك طالب ما ، يمكن أن يكون له تأثير قوي على حدوث هذا السلوك من قبل الطلاب الآخرين.

9- بناء المناهج وفق الفروق الفردية بين التلاميذ :

لن نكون مبالغين إذا نظرنا للطلاب من جميع النواحي : كيف يفكر ؟ كيف يسلك ؟ كيف يتعلم ؟ ما يمكن أن يتعلمه ؟ ما الاتجاهات والقيم التي يجب أن تكون لديه ؟ وما العادات التي يجب أن يكتسبها ؟ .. كل هذه الجوانب وغيرها يجب أن يعني بها محتوى المنهج ،

فليس المحتوى مجرد مجموعة من الحقائق والمعارف , وإنما هو مركب يتضمن النواحي كافة مع دراية كاملة بطبيعة المتعلم وإمكانياته ودوافعه بما يتضمن تنفيذ المنهج على أفضل صورة ممكنة (18)

• النتائج التي تتحقق بمراعاة الفروق الفردية:

من النتائج التي يمكن أن تتحقق من خلال مراعاة الفروق الفردية :

- 1- الاهتمام بتعليم جميع المستويات.
- 2- الارتفاع بمخرجات العملية التعليمية.
- 3-التقليل من الفاقد التعليمي.
- 4- الوصول بمستويات الطلاب كافة إلى الأهداف المنشودة.
- 5- مراعاة الحاجات المختلفة لأعداد كبيرة من الطلبة داخل الصف

المبحث الثاني -

الفروق الفردية بين التنوع و التفريد :

أولاً - تفريد التعليم :

تفريد التعليم هو نظام تعليمي تم تصميمه بطريقة منهجية تسمح بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين داخل إطار جماعية التعليم وذلك بغرض أن تصل نسبة كبيرة من المتعلمين 90% أو أكثر إلى مستوى واحد من الإتقان كل حسب معدله الذي يناسب قدراته واستعداداته , (19) وهو أسلوب تعليمي منظم يقوم فيه المتعلم بالتفاعل مع المواقف التعليمية بنفسه لاكتساب المعلومات والمفاهيم عن طريق وسائط تعليمية متعددة حتى يصل لمستوى الإتقان المطلوب وبذلك ينتقل محور الاهتمام من المعلم إلى المتعلم . (20)

حيث تزرخ الأدبيات التربوية الحديثة بنماذج متعددة من نظم تفريد التعليم ، ومن أكثر النظم استخداما الحقائق التعليمية واستراتيجية بلوم لإتقان التعلم، وتعد استراتيجية بلوم من أفضل الاستراتيجيات والنظم التعليمية ، لأنها تجمع بين التدريس الجماعي وتفريد التعليم .

الفروق الفردية ، وتفريد التعليم :

إن الفرق بين الفروق الفردية و التفريد يكون في الإجراء والمضمون وذلك للعوامل

التالية:

- 1- إن عملية التفريد كإجراء تشمل عمليات التقييم والقياس الموجهة بقصد الكشف عن نوعية الاحتياجات ومستواها وذلك باتباع إجراءات فردية مناسبة للفرد موضع تلك العمليات، في حين تعنى عملية التفريد كمضمون تحديد الاحتياجات الأساسية الفريدة التي فرضتها طبيعة القدرة لدى الفرد سواء كان فرداً معوقاً أو متفوقاً.
- 2- إن عملية مراعاة الفروق الفردية لا تتطلب الإجراءات الفردية السابقة، لأن الاحتياجات المطلوبة لدى التلاميذ تحدها مرجعية عامة هي طبيعة المرحلة العمرية وخصائصها، وقد يكون هناك فروق في الرغبات والميول ولكن لا ترقى إلى درجة الفردية الفريدة أو الخاصة التي يترتب عليها وجود برامج فردية خاصة.
- 3- إن استخدام مراعاة الفروق الفردية كإجراء بين التلاميذ العاديين لا يلزم بإعداد البرامج التربوية الفردية لهم، ولكن تراعى تلك الفروق في الميول والرغبات بطريقتين:

أ) الطريقة الجماعية: قد يكون لدى مجموعة من التلاميذ العاديين نفس الرغبات والميول وبالتالي لا يحتاجون إلى تفريد العملية التعليمية، بل تبقى العملية في إطار الأسلوب التعليمي الجماعي ولكن بأعداد قليلة جداً مثل أسلوب التعلم التعاوني. (ب) الطريقة الفردية: إن مسألة مراعاة الفروق الفردية من خلال هذه الطريقة أيضاً لا يستوجب وجود برامج تربوية فردية خاصة، ولكن يتم توجيه التلميذ إلى رغباته وميوله وفق أسلوب التعلم الذاتي، وبصرف النظر عن تلك المفارقات بين مفهومي التفريد ومراعاة الفروق الفردية للطلاب العاديين نجد أن تلبية الاحتياجات الأساسية والمطلوبة للتلميذ في مجال التربية الخاصة تتم عبر أساليب تعليمية مختلفة، وهذا يدعونا إلى طرح التساؤل المساند: هل جميع التلاميذ في مجال التربية الخاصة معوقين ومتفوقين بحاجة إلى أساليب التعليم الفردي والجماعي معاً؟ إن أساليب التعلم الفردي والجماعي يقصد بها تلك الاستراتيجيات المتبعة لإحداث عملية تغيير شبه دائمة في سلوك المتعلم سواء تم بطريقة فردية أو جماعية. وعلى هذا الأساس، نجد أن معظم تلاميذ التربية الخاصة (التفوق والموهبة، والتخلف العقلي، والتوحد، والاضطرابات السلوكية، والإعاقات الشديدة، والإعاقات المتعددة بالإضافة إلى المتلازمات) يتلقون احتياجاتهم التعليمية والتدريبية وفق البرمجة التربوية الفردية وبأساليب تعليمية أو تدريسية فردية، في حين أن البعض منهم يتلقون احتياجاتهم الأكاديمية وغير الأكاديمية وفق البرمجة التربوية العامة (الإعاقات البصرية، والسمعية والإعاقات الصحية والبدنية) وبأساليب تدريسية جماعية، بينما البعض الآخر قد لا يستغني عن البرمجة التربوية الخاصة والبرمجة العامة.

ثانياً - تنوع التدريس :

تنوع التدريس هو فلسفة تربوية تبنى على أساس أنه على المعلم تطويع تدريسه تبعاً لاختلافات المتعلمين، وترتب على ذلك أن يكون هناك تنوع في طرائق التدريس، وأن تعدل لنتماشى مع تنوع قدرات وميول ومهارات المتعلمين في الفصل بمعنى: أن المعلم أو المعلمة يغير ويعدل في عناصر المنهج؛ لتتوافق مع خصائص المتعلمين، وليس العكس، فلا يجب أن يتوقع المعلم أو المعلمة أن يغير المتعلمون أنفسهم؛ للتوافق مع المنهج. فتتويع التدريس في الفصل لا يتعارض مع الإدارة الجيدة للفصل، وليس مرادفاً للفوضى، وفقد السيطرة على التلاميذ. فهو لا يفرض على أي تلميذ أداء مزيد من المهام التي نجح في أدائها، أو أنها وسيلة عقاب للمتفوقين

التعليم الإلكتروني :

إنّ التعليم الإلكتروني الذي يقومُ بمشاركة المعلومة من خلال الإنترنت والشبكات أتاح الفرصة للطالب على القدرة في الإبداع والتميّز وأيضاً زيادة الكفاءة لمن لا يجدون الوقت المناسب للتعلم، لأنّ التعليم الإلكتروني الذي يقوم بتنزيل محتويات الدروس على شكل أشرطة سمعية وفيديوهات وبرامج تعليمية أتاحت للطالب القدرة على الوصول إلى المعلومة في أي وقت وأي مكان.

العصف الذهني :

هذا النوع من التعليم قد ظهر حديثاً؛ بحيث يضع الباحث أو المعلم مسألة أو فكرة في محل النقد والمناقشة من قبل الطلاب لعرض أفكارهم ومقترحاتهم المتعلقة بحل المشكلة، وبعد ذلك يقوم الباحث أو المعلم بجمع جميع هذه المقترحات ويناقشها مع الطلاب لإيجاد الأنسب منها والأفضل، وهذا الأمر له جانب مميز جداً وهو حرية التفكير والتركيز على توليد أكبر قدر ممكن من الأفكار،

التدريب الميداني والعملي:

هذا النوع من التدريب انتشر كثيراً في الجامعات في الكثير من التخصصات؛ بحيث يتم تدريب الطلاب تدريباً عملياً، وهذا الأمر يساعد الطالب على إدراك متطلبات الواقع والقدرة على الاستفادة من التعليم وتطبيقه على أرض الواقع.

المبحث الثالث -

دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية داخل الصف :

يجب على المعلم إتباع بعض الخطوات التي من شأنها أن تساعد أغلب الطلاب على الاستفادة من المادة الدراسية ومن هذه الخطوات :

- 1- عمل مراجعة سريعة قبل تقديم المادة الدراسية، بحيث ترتبط هذه المراجعة بالمادة الجديدة.
- 2- تقديم أمثلة متنوعة لكل مفهوم من المفاهيم المتضمنة في الدرس.
- 3- الاهتمام بالتحليل والمقارنات التي تتعلق بالمبادئ النظرية.
- 4- تنويع استخدام المواد التعليمية والوسائل المناسبة (الخرائط - الصور - الرسوم البيانية ... الخ)
- 5- تقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة، تساعد كل منها الأخرى على مراجعة أعمالها وتوفير التغذية الراجعة.
- 6- تطبيق الاختبارات القبلية لكي يتم الكشف عن مدى استعداد الطالب لتعلم مهارات أو معلومات جديدة.
- 7- اختيار الطلاب أنشطة مختلفة تحت إشراف المعلم حيث يوفر بعضها تدريبات إضافية ويتيح بعض هذه الأنشطة الحرية للطلاب للتعبير عن أفكاره المختلفة، من خلال ممارسة الأنشطة المتنوعة .
- 8- تقديم أنشطة تدريبية، تناسب الطلاب الذين يحتاجون إلى مزيد من الوقت والتدريب للتعرف على المعلومات الأساسية.
- 9- تقديم أنشطة للفهم أو التفسير، تناسب الطلاب الذين يحتاجون إلى المزيد من الشرح والتفسير لفهم المعلومات الجديدة .
- 10- تقديم أنشطة إثرائية تناسب الطلاب الذين يحتاجون إلى التعمق في فهم المحتوى الدراسي.

النتائج :

من خلال استعراض مفهوم الفروق الفردية ومعنى كل من تفريد التعليم و تنوع التدريس و دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية و بالرجوع الى تساؤلات البحث ، وأهدافه يمكن استخلاص النتائج التالية :

1- التساؤل الأول : ما مفهوم الفروق الفردية ؟

فالفروق الفردية ظاهرة طبيعية تتمثل في الإختلافات بين الأفراد في السمات المختلفة الجسمية والعقلية والانفعالية والشخصية ، ويعبر عنها بمدى انحراف الفرد عن متوسط المجموعة في سمة من السمات ، وهي صفات يتميز بها كل إنسان عن غيره سواء كانت تلك الصفات جسمية أو سلوكية أو معرفية وكذلك فروق خاصة بالنواحي الإدراكية والانفعالية، مما يجعل الأفراد يختلفون فيما بينهم من ناحية الفهم والتحصيل الأكاديمي والاستعداد للنجاح والتفوق في المجالات المتعددة وذلك باختلاف طبيعة تلك المجالات .

2- التساؤل الثاني : ما دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية في التدريس ؟

- إن دور المعلم في التدريس لم يعد ذلك الدور التقليدي الذي يقوم بشرح الدروس بعد اعدادها وضبط الصف واختبار الطلاب وإنما دور المعلم الواعي بحاجات التلاميذ و خلق بيئة ملائمة وفعالة للتعلم عن طريق توفير المواد التعليمية المناسبة واستخدام طرائق التدريس والوسائل التعليمية المختلفة التي تتفق مع إمكانات كل تلميذ وطريقته وأسلوبه في التعلم ، وحتى يؤدي المعلم دوره على أكمل وجه ويراعي الفروق الفردية بين المتعلمين يجب عليه ان يستخدم طرائق تدريس متعددة تختلف باختلاف المتعلمين وقدراتهم الجسمية و العقلية و النفسية وتناسب المحتوى التعليمي الذي يقدمه .

3- التساؤل الثالث : كيف نراعي الفروق الفردية باستخدام عمليتي تفريد التعليم ، وتنوع التدريس؟

إن تفريد التعليم وتنوع التدريس ما هي إلا برامج تعليمية الغرض منها تقديم المحتوى التعليمي بما يتناسب وإمكانات و قدرات المتعلمين المختلفة لتحقيق الأهداف التعليمية و التربوية التي ينشدها المجتمع و من العوامل التي تساعد في مراعاة الفروق الفردية البناء الجيد للمناهج الدراسية وما تحويه من مناسط تعليمية بحيث تراعي الاختلافات بين المتعلمين وتتيح لكل منهم الفرصة في التعلم بما يناسب قدراته وميوله .

التوصيات :

من خلال نتائج البحث فإن الباحث يوصي بالآتي :

1- تدريب المعلمين على تنوع أساليبهم التدريسية باستخدام طرائق تدريس تراعي الفروق الفردية بين الطلاب .

3- إعداد مناهج دراسية تناسب قدرات واستعدادات الطلاب المتباينة.

4- إدراج العديد من الأنشطة الإضافية التي تتناسب مع تباين مستويات الطلاب كالأنشطة المدرسية والثقافية والمسابقات العلمية.

5- تعريف الطلاب بأساليب التعلم الجيد و مساعدتهم بفهم آلياته .

المقترحات :

- 1- إجراء البحوث و الدراسات في مجال الفروق الفردية .
- 2- الاهتمام بالفئات الخاصة سواء كانوا متفوقين أو متخلفين دراسيا وتقديم ما يناسبهم من تعليم

الهوامش:

- 1- سورة الروم الآية: (22)
- 2- أديب الخالدي، سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي . ط.1، عمان : دار وائل للنشر والتوزيع، 2003 .ص65
- 3- زياد بركات ، تصميم التدريس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2000، ص23
- 4- كوثر كوجك وآخرون ، تنوع التدريس في الفصل دليل المعلم لتحسين طرق التعليم والتعلم في مدارس الوطن العربي ، مكتب اليونسكو الاقليمي . 2008 ، ص 13 .
- 5- العجيلي سرگز، معجم مصطلحات العلوم التربوية و النفسية، منشورات جامعة السابع من أبريل، 1997، ص 101 .
- 6- عبد الرحمن عدس ، مدخل إلى علم النفس. ط 5، عمان ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، 1998 ، ص46
- 7- هاشم السامرائي وآخرون ، طرائق التدريس العامة وتنمية التفكير ، دار الامل، الاردن. 2000 ، ص 206 .
- 8- مرعي والحيلة ، تفريد التعليم ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن. 1998 ص 97 .
- 9 - جابر عبد الحميد جابر ، حجرة الدراسة الفارقة والبنائية ، عالم الكتب ، القاهرة. 2005 ص66 .
- 10- أنسي محمد أحمد قاسم ، الفروق الفردية والتقويم ، ط1، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر، 1424 هـ، ص 18-19
- 11- محمد الريماوي ، سيكولوجية الفروق الفردية والجمعية في الحياة النفسية . ط.1، عمان ، دار الشروق، 1994 . صص46-47
- 12- أديب الخالدي ، مرجع سابق ، ص20
- 13- عبداللطيف حسين فرج ، مرجع سابق، ص197
- 14- أديب الخالدي ، مرجع سابق ، صص23-24
- 15- محمد الريماوي ، مرجع سابق، ص36
- 16- عبد الوهاب محمد كامل، أسس الفروق الفردية، القاهرة. دار الكتب ، 1996، ص65
- 17- أديب الخالدي، مرجع سابق ، ص34
- 18- عمر محمود غباين ، التعلم الذاتي بالحقائب التعليمية، دار المسيرة ، عمان ، 2001 ص ص 43-44
- 19- مدحت أحمد النمر ، فلسفة تدريس العلوم ، الإسكندرية ، مطبعة الجهاد ، 1980 ، ص ص 140-143.
- 20- علي محمد عبد المنعم ، " تكنولوجيا التعليم وتطوير التعليم الجامعي في مصر "، ورقة مقدمة إلى المجلس القومي للتعليم ، مطبوعات المجالس القومية ، القاهرة ، 1994، ص1.